إهانة الإهانة

لو إرتأينا الحديث عن الدكتور المهدي المنجرة، فلا يتأتى لنا هذا ولو حتى بعد جهد جهيد، فالدكتور أشمخ من أن نتحدث عنه في بضعة أسطر أو حتى في مؤلفات، لكن بحكم مقامنا ومقالنا هذا، يمكن أن نقول عنه إنه ذلك الإنسان العارف المتواضع، المناضل الثائر، المستقبلي المتفائل، سمات نلمسها في إنتاجات الدكتور.. على سبيل المثال، كتابه الأخير "الإهانة في زمن الميغا امبيريالية"، الذي سنحاول مقاربته من خلال ثلاثة مفاهيم أساسية نعتقد أنها تحصر فحوى الكتاب، وهي: الحرب الحضارية، الإهانة، الإنتفاضة.

أولا - مفهوم الحرب الحضارية:

يميز الدكتور المهدي المنجرة بين مفهوم صراع الحضارات الذي جاء به هانتنغتون، ومفهوم الحرب الحضارية، فالاول عدواني، يرى أن الصراع كامن وأساسي في جينات الثقافات والحضارات ذاتها وبذاتها. أما الثاني فوقاني ينبه الى أن الحوار هو الطريق الوحيد والأوحد المجنب للحروب.

إن الهوية الثقافية ستصبح، مصدرا متزايدا للصراعات بين الشعوب وداخل بعضها البعض، إذ أن الصراعات المستقبلية ستكون أسبابها بالأساس ذات طابع ثقافي، ليس لأن الحضارات عدائية في جوهرها، وإنما بسبب غياب التواصل.

يقول المهدي المنجرة "إن الثقافات مؤسسة على السلم، إذ لا تواجد لأي ثقافة تنشأ عدائية، إن النزاعات والصراعات ما هي إلا حالات عارضة، عندما لا ننتبه إلى القيم الثقافية نسير دائما نحو الشقاق. يمكننا على صعيد المجتمع أن نتحدث عن نظام سيكولوجي يتكون من ثلاثة مكونات: "الانا المجتمعي" عبارة عن النسق الأخلاقي، و"الانا الأعلى المجتمعي" أي غرائز الاستعلاء، والأخلاق المثالية النرجسية اللاانكية. ثم "الهوالمجتمعي" أي ما لا تسمح الحضارات والثقافات والمجتمعات الأخرى بتصريفه، من هنا تكون الصراعات ناتجة عن اختلال التوازن بين الانا المجتمعي والانا الأعلى المجتمعي، أو ناتجة عن كبت داخلي أو خارجي "للانا المجتمعي"، إنها إذن حالات باطولوجية.

ثانيا - الإهانة:



المهدي المنجرة

يأتي نضج مفهوم الإهانة عند المهدي المنجرة كتتويج لحصيلة خبرة طويلة في مجال العلاقات الدولية، وعلاقات شمال -جنوب. وقد ظهرت بوادر تكون هذا المفهوم عند المهدي المنجرة منذ وقت، إذ نلمسه في كتاب "إنتفاضات في زمن الذلقراطية"، كما نلمسه أيضا مثلا في محاضرته بقلعة مكونة التي القاها في إطار الأنشطة الثقافية لجمعية الغرفة الفتية.

يقول المهدي المنجرة إن الإهانة أصبحت طريقة حكم على الصعيدين الوطني والدولي. يمكننا القول إن تلك المشاهد المتلفزة الواردة من فلسطين والعراق وأفغانستان والشيشان.. إهانة يومية، والانتخابات إهانة دورية، واجتماعات القمم العربية ومؤتمرات الدول الإسلامية إهانة اخر الساعة...، وننفرد هنا بالمغرب بحالة عسكرة الجامعة التي تمثل أكبر إهانة لكل ما راكمته الإنسانية في مجال حقوق الإنسان، والبحث العلمي، والجمال، والإبداع، والفن، والأخلاق، والقيم...

ثالثا - الإنتفاضة

يتحدد مفهوم الانتفاضة لدى الدكتور في إطار رؤية الى العالم أساسها تشاؤم الواقع، وتفاءل الإرادة، حيث إن الإرادة تتفائل حتى يتفائل معها العقل، يقول الدكتور "إننا نعيش أزمة أخلاق حقيقية تزيد من أضرار الإهانات الناجمة عن الفقر، والأمية، والمرض، وغياب العدالة الاجتماعية وخرق حقوق الإنسان".

نعم، إنها أزمة البعد الجمالي في الحضارة الإنسانية. وبالتالي فالعالم مقبل لا محالة على انتفاضات ردود افعال على كل هذا الإحباط المتراكم، الانتفاضة قادمة، فهي سنة كونية، فقد تعلمنا من الفيزياء، أن لكل فعل رد فعل، وتعلمنا من البيولوجيا أن الجمود والسكون هي سمة الخلايا الميتة، وتعلمنا من التاريخ الحركية والسيرورة...

إن الانتفاضة هي رد الفعل على الإهانة. لكن قبل الانتفاضة لابد من إهانة الإهانة، ولا نهين الإهانة إلا بإدراكها، وبإيماننا بكرامتنا وبقدسية العنصر البشري.

جميل أن نمتلك تفاؤل الإرادة، وأجمل أن نمتلك تفاؤل العقل.. فهذه مرحلة الانتفاضات، فهناك انتفاضة عابد الجابري، وانتفاضة أحمد السنوسي، وانتفاضة علي المرابط، وانتفاضة المهدي المنجرة، وأنتفاضة أحمد بوزفور، وانتفاضة مرية مكريم... واللائحة طويلة، ومازالت مفتوحة.. وكل حين والانتفاضة متجددة.

• إسكلا كريم